فن الهكيد مفهومه وإشكالاته

الهكيد كلمة قمتُ بنحتها على وزن القصيد بدمج كلمة قصيد مع كلمة هايكو للدلالة على فن كتابة قصيدة الهايكو في العربية. وتحيلنا الكلمة بشكل غير مباشر إلى "بيت القصيد" بمعنى الخلاصة وأجودِ الأبيات أو السطور. والكلمة المنحوتة ترسم عن طريق الإيحاء مفهوما واسعا يؤكد على ضرورة أن يكون للهكيدة طابع عربي أصيل، فلم أشأ أن أستعمل كلمة "هايكو" بعد أن شاهدتُ الكم الهائل من التقليد الشكلي الخارجي لقصيدة الهايكو – اليابانية وغيرها – في الكتابات التي يكتبها الكثيرون من الشعراء العرب.

وإعلان التوجه العربي من خلال هذا النحت للمصطلح نابع من ضرورة تحديد المفهوم أولا حتى يصير الشكل الذي يشير إليه المصطلح لبنة أصيلة في بناء الشعر العربي. وهذه الأصالة لا تتعارض مع كون الهايكو فنا مستوردا، لأن عملية الاستيراد ذاتها عملية طبيعية فيما بين الثقافات ويدخل في باب التراسل بين هذه الثقافات أو التأثير والتأثر فيما

بينها. ولكن التعارض ينشأ عندما يتم استيراد الشكل ككل دون النظر إلى الخصوصيات الثقافية والأدبية والجمالية واللغوية والذوقية التي تتميز بها كل ثقافة ع أخرى.

وأي شكل أو نوع أدبي له جانبان: جسد وروح. والأرواح يمكنها أن تتناسخ ولكن الأجساد لا تتناسخ، ويمكن لروح أن تحل في جسد آخر، لكن لا يمكن لجسد أن يحل في جسد آخر. وجسد قصيدة الهايكو في الأصل جسد ضارب بجذوره في الخصوصيات الثقافية واللغوية والصوتية والشعرية والتركيبية اليابانية. أما روحها فتتمثل في المبادئ العامة التي تحكم التجربة المتجسدة في قصيدة الهايكو. هذه المبادئ العامة يتم التوصل إليها بعد تخليص الهايكو من العوالق الخاصة العالقة بشكلها في الثقافة اليابانية، والوصول إلى السمات أو البذور القابلة للاستزراع في الثقافات واللغات الأخرى. وهذه السمات أو البذور ليست لها علاقة مباشرة بالشكل الخارجي للقصيدة ولا بمضمونها، وإنما تتعلق بما يمكننا أن نطلق عليه البنية الموضوعية لفن الكتابة فيما يتعلق

بهذا النوع الشعري. وصفة "الموضوعية" هنا تتعلق بالموضوع بمعنى الفكرة، والموضوع بمعنى الشيء الذي له وجود خارجي بعيدا عن الذات ويمر هذا الوجود بمرحلة انصهار في ذات المبدع لاحقا بحيث يتم تخصيصه وفقا لثقافة المبدع ولغته، والموضوع بمعنى الموضوعية: أي البنية الجوهرية التي تتقاسمها كل أشكال الهايكو في مختلف الثقافات.

ويمكننا أن نحدد هذه السمات العامة لقصيدة الهايكو أو روحها فيما يلي:

أولا، البنية الأساسية لقصيدة الهايكو تتمثل في تداخل مشهدين أو صورتين أو حالتين أو فكرتين أو شعورين وامتزاجهما ببعضهما بعضا. ولا يُشترط في المشهد أو الصورة أن تكون مادية ملموسة أو مرئية، ولا يُشترط فيها الحضور الفعلي أمام عين الصوت في القصيدة. وهذا التداخل أو الذوبان أو الامتزاج يتم بناء على سمات مشتركة بين العنصرين، وهذه السمات المشتركة لا يُشترط فيها أن

تكون حاضرة بذاتها في هذين العنصرين، وإنما هو حضور تخلقه القصيدة بشكل مُقْنِعٍ وجدانيا أو حسيًّا أو رؤيويا من خلال تفاعل العنصرين في مخيِّلة المبدع أو في وعيه أو لاوعيه بشرط أن يتجلى هذا التفاعل في القصيدة ذاتها بحيث لا يحتاج القارئ إلى المبدع كي يشرح له العلاقة بين العنصرين. وغالبا ما يقوم هذا التفاعل على التداخل ما بين الحضور والغياب، فالهكيدة حركة من لحظة حاضرة في وعي الشاعر – سواء أكان هذا الحضور منعكسا على المكان الموجود فيه من حوله أم لا – إلى لحظة أخرى في مكان آخر أو في زمان آخر (للوراء نحو الماضي أو للأمام نحو المستقبل) أو في درجة أخرى من درجات الوعي. أي أن العنصر "الحاضر" أو الأول يستحضر العنصر الثاني في مخيلة الشاعر، أو ينتقل الشاعر من مرحلة البصر التي يرى فيها الشيء رؤية فعلية أو متخيَّلة إلى مرحلة البصيرة التي ترى فيه شيئا آخر له دلالة خاصة في وجدان الشاعر/الصوت في القصيدة. وهذه الدلالة الخاصة لابد أن

تتحول إلى دلالة عامة في الهكيدة كي تستطيع هذه الهكيدة أن تعيش على مر الزمن ويستطيع أي قارئ في أي مكان وأي زمان أن يراها متحققة أمامه في نصِّ الهكيدة.

ثانيا، تقوم الهكيدة على التأمل أو الاستبطان أو استكناه روح الأشياء والمواقف والأشخاص. والتأمل في اللغة العربية يدل على التوقف والتفكُّر والتبصُّر: أي الدخول في مستوى أعلى من مستويات النظر والبصر والتفكير، وقد يكون هذا التأمل موجَّهًا نحو أشياء وموضوعات خارجية لها وجودها الموضوعي بعيدا عن الذات، وقد يكون تأملا باطنيا أو ذاتيا يتأمل فيه الإنسان ما يوجد داخله من مشاعر وأفكار وأحاسيس وانفعالات وحدس، الخ. وهذا التأمل يوصل الشخص المتأمِّل إلى جوهر الشيء أو الموقف أو الشخص فينعكس هذا الجوهر في الهكيدة على شيء أو شخص أو موقف آخر يتشابه في جوهره مع الأول منهما: أي الذي بدأ به التأمل.

ثالثا، الاستعارة التركيبية، وأقصد بهذا المصطلح أن بنية الهكيدة ككل عبارة عن استعارة سواء أكانت هذه الاستعارة واردة بشكل مباشر (عند استعمال بنية الجملة الاسمية الواحدة في القصيدة ويكون العنصر الأول مبتدأ والعنصر الثاني خبرا) أم بشكل غير مباشر (عند استعمال جملتين، فتمثل جملة منهما طرفا من طرفي الاستعارة وتمثل الجملة الثانية طرفها الآخر).

رابعا، التحرك على المحورين الأفقي والرأسي في نفس الوقت، وهي سمة متفرعة عن السمة الأولى المذكورة أعلاه.

openkandl.com